علم الدلالة ـ نظرة تاريخية

عند اليونان: من الطبيعي أن تكون الدلالة من الموضوعات التي يهتم بها الفكر الإنساني منذ القدم. و كان ذلك عند فلاسفة اليونان، فقد رأى أرسطو أن المعنى يتطابق مع التصور الموجود في العقل و ميزبين:

١ - الأشياء في العالم الخارجي .

٢ - التصورات أو المعاني .

٣ - الأصوات أو الرموز أو الكلمات.

و فتح ذلك الباب لكثير من الأفكار و المناقشات عن الدلالة و المعنى في العصور الوسطى، كما تعرض افلاطون إلى قضية العلاقة بين اللفظ و المعنى و اتجه إلى أن العلاقة بينهما طبيعية ذاتية،على حين اتجه أرسطو إلى أن هذه العلاقة اصطلاحية عُرفية ، أي متواضعة عليها و قام بشرح هذه العلاقة العرفية و بيانها. **(ينظر : أحمد مختار عمر ص ١٧)**

عند الهنود: اهتم الهنود بالتأمل في لغتهم و قاموا بدراستها بدافع ديني للحفاظ على كتابهم المقدس الفيدا) ـ و هذا ما يشبه ما كان من أمر العرب عندما درسوا لغتهم.

و كان (بانيني) الذي عاش في القرن الخامس و الرابع قبل الميلاد وضع كتابا في السنسكريتية سمّاه :(المثمّن) قيل أنه أشبه بكتاب سيبويه.

و كان من أهم الموضوعات التي ناقشها الهنود، نشأة اللغة و اكتساب بعض الأصوات لمعانيها و قد كانوا فريقين: أحدهما يرى أن اللغة نشأت بالإلهام ، و الثاني: من اختراع البشر.

كما ناقشوا قضية اللفظ و المعنى ،فمنهم من رأى أن اللفظ والمعنى لا ينفصلان عن بعضهما ، و منهم من رأى ان العلاقة بين اللفظ و المعلى علاقة فطرية و طبيعية ، و منهم من رأى أن العلاقة بين اللفظ و المعنى علاقة ضرورية لزومية و من القضايا التي ناقشوها: أنواع الدلالات للكلمة. و توصلوا إلى أن هناك أربعة أقسام للدلالات : بحسب :

عدد الأصناف الموجودة في الكون :

١- قسم يدل على مدلول عام (رجل)

٢ - قسم بل على كيفية (طويل)

٣ . قسم يدل على حدث (جاء)

٤ . قسم يدل على ذات (محمد).

عند العرب:

قام العرب بدراسة لغتهم لسبب أساسي ديني ،يتمثل في المحافظة على لغة القرآن الكريم؛ لصحة تلاوته و استخلاص الأحكام و التشريعات منه . و كان للخوف من اختلاف المعنى أو إفساده في تلاوة الآيات بشكل غير صحيح أكبر الأثر في النهوض بهذه الدراسة ، لذلك كانت أوائل الأعمال اللغوية المتعلقة بالدلالة بشكل خاص ذات صلة بالقرآن الكريم مثل: معاني الغريب في القرآن الكريم، و مجاز القرآن فضلا عن معجمات الموضوعات (المعاني) . و معنى ذلك، ضبط المصحف الشريف، و قد تجلت أهم أعمال الدراسيين العرب الدلالية بما يأتي :

- عمل ابن فارس في معجمه (المقاييس) بربط المعاني الجزئية بالمعنى العام

- عمل الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) للتفريق بين المعاني الحقيقية و المعاني المجازية.

ـ أعمال ابن جني في ربط تقلبات المادة (اللفظة) بمعنى واحد

فضلا عن أعمال لغوية أخرى ذات صلة بعلم الدلالة. و لابد من الإشارة هنا إلى ما قام به الأصوليون و علماء الكلام ، و ما ذكروه من: **دلالة اللفظ** و دلالة **المنطوق و دلالة المفهوم**، زيادة على أعمال البلاغيين في دراسة الحقيقة و المجاز، و نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني. كانت هذه فكرة مقتضية جدا عن الدراسات الدلالية قديما ، و نعرج بعد ذلك على تقديم فكرة عن الدراسات الدلالية في العصر الحديث .

الدلالة في العصر الحديث.

يمكن القول أن بواكير هذا العمل نشأت في أواسط القرن التاسع عشر هذا و لم تزل الدراسات الدلالية في العصر الحديث تتسع و تستقل في مؤلفات خاصة فضلا عمّا تأخذه من مساحات ضمن إطار الدراسات اللغوية و علم اللغة الذي استوى و تطور في المدة لأخيرة و كان هناك من الباحثين العرب الذين اهتموا بالسيمياء (علم الإشارة) مثل :الدكتور أحمد مختار عمر، كذلك على كتب الدكتور حلمي خليل و الدكتور إبراهيم أنيس

وغيرهم الكثير من الباحثين في الدراسات اللغوية الغربية وبدءا من تشومسكي الذي دعا في البداية إلى ضرورة فصل النحو عن المعنى إلا أن عدل عن موقعه بتأثير عدد من اللسانيين الذين أدخلوا المكون الدلالي في التحليل و نذكر على سبيل المثال لا الحصر (ستيفن أولمن) الذي أصدر عددا من الكتب في دراسة المعنى، منها: أسس علم المعنى ، و دور الكلمة في اللغة

وفي الدراسات اللغوية الغربية الحديثة ردّ عدد من اللغويين مثل كاتز و فودور الاعتبار إلى المعنى و أدرج المكون الدلالي في التحليل بعد أن كان قد استبعد هذا المكون الذي يقوم بإعطاء تفسيرات دلالية للبنية العميقة .

و كان تشومسكي الذي عُرف بنظرية النحو التوليدي التحويلي، والذي طوّر نظريته التي ظهرت في كتابه (البني التركيبية) عندما أخرج كتابه (مظاهر النظرية التركيبية) كان يدعو إلى فصل النحو عن المعنى، و لكنه عدل عن موقعه ربما بتأثير أولئك اللسانيين ، فادرج القواعد الدلالية في نموذجه المعياري عند الغربيين و كان على رأس من أسهم في وضع اسن هذه الدراسات ماكس مولر، و ميشال بريال اللغوي الفرنسي الذي وضع بحثا بعنوان مقالة في السيمانتيك عام ١٨٧٩ ، و قد اهتمت هذه المقالة بدلالة الألفاظ القديمة في اللغات الهندواوربية و ربما كان من أبرز الأعمال في هذا السياق المؤلف الضخم بعنوان (لعتنا) للعالم السويدي أدولف نورين الذي خصص قسما كبيرا لدراسة المعنى مستخدما مصطلح (somology).

وقد قسم دراسة المعنى إلى قسمين :

١- الدراسة الوظيفية.

٢ الدراسة الايتمولوجية التي تعالج تطور المعنى التاريخي

و قد تطورت الدراسة الدلالية حديثا ، عند الأوربيين و ظهرت أسماء مهمة مثل : أوجدن و ريتشارد اللذين أخرجا مؤلفهما الشهير الذي عنوانه (the meaninig of imeaning) أي معنى المعنى عام ١٩٢١ حيث وضعا نطرية للعلامات و الرموز. و في الدراسات الأمريكية يمكن أن نذكر أسماء مثل؛ بلومفيلد الذي يقال أنه و أتباعه أرادوا إخراج دراسة المعنى من مستويات الدراسة اللغوية أو و السيمانتيك) ـ في رأيهم . تقع خارج المجال الواقعي للغة ، أو هي في الأقل أضعف نقطة في الدراسة اللغوية ، مما أدى إلى إهمال المعنى و إن كانت تفسيرات أقوال بلومفيلد لا تعبر بدقة عمّا أراد. و ربما لم يرد الاعتبار لدراسة المعنى (الدلالة) في أمريكا في النصف الثاني من القرن العشرين و بخاصة في الاتجاه التوليدي عند تشومسكي .

و من المؤلفين العرب الذين اهتموا بعلم الدلالة في العصر الحديث الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الالفاظ) حيث عالج في هذا الكتاب عدة قضايا منها ارتباط الألفاظ بمدلولاتها – أقسام الدلالة – العلاقة بين اللفظ و المعنى – واكتساب الدلالة عند الطفل و الكبار – و التطور الدلالي... وغير ذلك .

انواع المعنى

كثيرا ما يتحدث الباحثون عن أن معنى الكلمة يظل ضبابيا و شبه غامض خارج سياق الكلام ، بل إن بعضهم نفى أن يكون للكلمة أي معنى خارج السياق. و إذا كان الرجوع إلى المعجم هو الوسيلة - غالبا -للبحث عن معنى الكلمة و بالرغم من أنه يدون عادة في المعجمات عدد من المعاني فان معظم الكلمات لا يمكن الوقوف على معانيها عندما يذكر في المعجم.

اختلف الباحثون و تفاوتوا في حصر عدد المعاني المحتملة للكلمة ، و كان الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه (علم الدلالة ص ٣٦ و ما بعدها) . قد ذكر خمسة أنواع عدّها أهم أنواع الدلالة وهي:

المعنى الأساسي أو المركزي: و هو العامل الرئيس للاتصال اللغوي. ويشترط للمتكلمين بلغة واحدة أن يكونوا مشتركين في تصور هذا المعنى الأساسي الذي يتم من خلاله التصور ، و نقل الأفكار. حيث تملك الكلمات ملامح معينة تميزها من غيرها أو عن مضاداتها فكلمة (رجل) تتميز ببعض الخصائص المعنوية عن كلمة (امرأة) أو (ولد) و كلمة (عصفور) تتميز كذلك من (أوزة). إن هذا المعنى هو المعنى المعجمي للكلمة عندما تكون منفردة .

٢ ـ **المعنى الإضافي أو الثانوي :** و هو المعنى الذي يزيد عن المعنى الأساسي ، ولا يكتسب صفة الثبوت وإنّما يتغير بحسب أنواع الثقافات و الأزمنة و الخبرات، فإذا كانت كلمة (طفل) لها ملامح أساسية هي (- إنسان ـ ذكر - بالغ) فان هناك معاني إضافية تتعلق بكلمة (طفل) كلبس نوع من الثياب و، البكاء و عدم الخبرة ...

اوكلمة (الوالدة) التي معناها الأساسي الأنثى التي ولدت الولد إلا أن من معانيها الإضافية الحنان و العطف و الخوف على الوليد...

ومن المؤكد أن هذا المعنى مفتوح ، و قابل للتغير مع ثبات المعنى الأصلي.

٣ ـ المعنى الأسلوبي: إن أي قطعة لغوية تحمل خصائص أسلوبية تتعلق بمستوى اللغة المستعملة كاللغة الأدبية أو العاميّة أو المبتذلة وكذلك بنوع البيئة و المستوى الاجتماعي و العصر؛ و لذا يلاحظ ان بعض الكلمات التي قد تبدو مترادفة هي في الحقيقة غير متطابقة المعنى تماما من حيث إدراك معانيها الإضافية و مثال ذلك الزوجة في العربية فهي (الحرم و الزوجة و المرأة أو المرة أو الدار أو الأهل أو الأخرى) .

٤ ـ **المعنى النفسي**: و هو المعنى الخاص المتعلق بالفرد المتكلم الذي لا علاقة له بالتداول بين الأفراد حيث يعكس الفرد في أحاديثه معاني فردية تتعلق بحالته النفسية الخاصة و كثيرا ما يظهر في كتابات الأدباء، والشعراء .

٥ ـ المعنى الإيحائي : و هو ما تتركه بعض الكلمات من ظلال إيحائية (شفافية) خاصة وقد ذكر أولمان ثلاثة أنواع لتأثيرات هذا المعنى و هي:

١ **ـ التأثير الصوتي:** مثل كلمة (صليل) لصوت السيف و (خرير) لصوت المياه.

٢ **ـ التأثير الصوتي :** و يمكن أن نمثل لذلك بالفعل الرباعي المضعّف بالعربية (شلشل)

٣ـ التأثير الدلالي: و هو ما تتركه بعض المعاني الأكثر شيوعا من المعاني الأساسية من أثر إيجابي على المعنى الآخر، مثل المعاني المتعلقة بالجنس أو الموت أو قضاء الحاجة .